# الدراسات التاريخية الاباضية
# في مسار الأديب محمد صالح ناصر

الدكتور إلياس حاج عيسى، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر

**الملخص:**

أخذت الأعمال التاريخية نصيبا مهما من مجموع الإنتاج الفكري للأديب مُحَمَّد ناصر ، ويمكن تحديد أهم دافع ألجأ الدكتور إلى حقل التاريخ ، هو قوله في مذكراته: "... نظراً لما تعرض له تاريخنا الإسلامي الإباضي عبر مسيرته الطويلة من تشويه ، وتحريف ، وتزييف." فكانت انطلاقته مع جمعية التراث سنة 1983م ، التي فتحت له آفاق البحث التاريخي ، وقد أبدع أستاذنا في هذا المجال تحقيقا ونقدا وتأليفا ؛ إذ حقّق في سنة 1985م كتاب ابن الصغير "أخبار الأئمة الرستميين" في عمل ثنائي ، وفي سنة 1989م ساهم بدراسة نقدية عنوانها "هل هو كتاب سير مشايخ المغرب للوسياني؟" قدّم فيها ملاحظاته حول التحقيق الذي أنجزه إسماعيل العربي.

في سنة 1992م كرّر الدكتور تجربة التحقيق مع كتاب "القسمة وأصول الأرضين" لأبي العباس أحمد الفرسطائي ، في عمل ثنائي ، وقد كان هذا العمل يدخل ضمن اهتمامات جمعية التراث دراسة ونشراً ، باعتبار الدكتور عنصرا فعالا ومؤثرا وقائدا للجمعية آنذاك. وفي سلطنة عمان استحضر الدكتور إنجازات الجمعية ، فعزم على إنجاز معجم أعلام الإباضية ، قسم المشرق الذي طبعته دار الغرب الإسلامي سنة 2006م ، ضمن عمل ثنائي ، ثم ختم الدكتور اهتماماته التاريخية بتأليف كتاب "منهج الدعوة عند الإباضية" الذي يعتبر مؤلفا تاريخيا بامتياز ؛ لخّص فيه الكاتب تاريخ الإباضية في المشرق والمغرب طيلة العصر الوسيط.

**الكلمات المفتاحية**: الإباضية ؛ جمعية التراث ؛ العصر الوسيط ؛ الوسياني ؛ ابن الصغير ؛ التحقيق.

## medieval historic studies Ibadism in the

## Muhammad Saleh Nasser's career

**Abstract:** among the works of the writer Mohammed Nasser, the historical studies were the most dominant because according to him "the religious history of the Ibadhite sect has subbed much of falcification and attack to his true message", Mohammed Nasser began his career as a member in the « Tourath association» in 1983, which resulted a review of Ibn Essaghir's work about the Rostomide Imams and a critical study in 1989 of Ismail Al Arabi's work, "is this

the book of the biographies of the sheikhs Wissiani?" and in 1992 he reviewed the book of Abu Abbas al-Forsotai. The most important work is the one entitled "the means of Ibadhit preaching " in which he has retraced the whole history of the Ibadhit doctrine, just after the appearance by the same author of a dictionary of Ibadhite scholars. published in 2006.

**Key words** : Ibadhit, medieval, middle Age, examing studies, Ibn Essaghir.

**مقدمة**

إن شخصية مُحَّد ناصر العلمية تستوجب الإعجاب وتثير الانتباه ، بالنظر إلى غزارة إنتاجه العلمي أولا ، وتشعب مشاربه الأدبية والشعرية والتاريخية ثانيا ، ونوعية دراساته وأصالتها ثالثا. وللدكتور سبقٌ وبصمةٌ في الاهتمام بالتاريخ الإباضي الوسيط ؛ إذ تنوعت اسهاماته في هذا المجال بين التحقيق والتأليف والنقد. ولنا أن نتساءل عن الدوافع التي جعلت من مُحَّد ناصر مؤرخا ، وهو الباحث الجامعي الأكاديمي في مجال الأدب العربي والدراسات النقدية الأدبية ، كما نتساءل عن أنواع الدراسات التي أنجزها في حقل التاريخ الإباضي الوسيط ، خاصة ما تعلق بالدراسات النقدية ، ولعل من أهم أهداف هذه الورقة البحثية ، هو إبراز مساهمة مُحَّد ناصر في الدراسات التاريخية الإباضية الوسيطة.

**أعمال مُحَّد ناصر التاريخية**

يمثل الجدول التالي ، امتداد السنوات التي اهتم فيها مُحَّد ناصر بالتاريخ الإباضي الوسيط ، وهي عشرون سنة كاملة ، بدأت في منتصف الثمانينات بتحقيق كتاب أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير ، وانتهت بتأليف معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق) سنة 2005م ، وقد تم تقسيمها إلى قسمين ، قسم الجزائر من 1985م إلى 1992م ، ثم قسم عمان من سنة 1994م إلى سنة 2005م. تمثل كلها مختلف النشاطات العلمية ، منها ثلاثة تحقيقات هي: أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير ، القسمة واصول الأرضين لأبي العباس أحمد بن بكر ، ودراسات إباضية لعمرو خليفة النامي. ثم تأليفين هما: منهج الدعوة عند الإباضية ، ومعجم أعلام الإباضية (قسم المشرق). ودراسة نقدية حول تحقيق إسماعيل العربي لمخطوط سير الوسياني.

**المرحلة الجزائرية:**

| السنة | طبيعة العمل | عنوان العمل | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| 1985م | تحقيق | أخبار الأئمة الرستميين | عمل ثنائي رفقة إبراهيم بحاز |
| 1989م | نقد حول | هل هو كتاب "سير مشايخ | نشر في جريدة الشعب |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | تحقيق | المغرب للوسياني" حقا ؟ | الثقافي ، الجزائر ، مارس ، 1989م |
| 1992م | تحقيق | كتاب القسمة وأصول الأرضين | عمل ثنائي رفقة الشيخ بكير بن مُحَّد الشيخ بلحاج |

تمثل فترة 1985م-1992م ، مرحلة الاهتمام بالتاريخ الإباضي المغربي خلال العصر الوسيط ، من خلال التركيز على أعمال التحقيق ، إنجازاً ونقداً ، وهي تتعلق بأمهات المصادر الإباضية المغربية (تحقيق أخبار الأئمة الرستميين 1985م ، نقد تحقيق سير الوسياني 1989م ، تحقيق القسمة وأصول الأرضين 1992م)، ويميل مُحَّد ناصر إلى تحقيق التراث الإباضي ، بالاشتراك مع باحثين آخرين من ذوي الشهادة والكفاءة ، وهو ما تحقق في مخطوط أخبار الأئمة الرستميين مع بحاز إبراهيم ، ومخطوط القسمة وأصول الأرضين مع الشيخ بكير بن مُحَّد الشيخ بلحاج.

**المرحلة العمانية**

| السنة | طبيعة العمل | عنوان العمل | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| 1994م | دراسة حول المنهج | الشيخ مُحَّد علي دبوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ.[1] | كتيب صدر عن مكتبة الصفاء ببريان ، ط.قسنطينة 1994م |
| 1998م ، ط.4 | دراسة حول منهج التحقيق | منهج البحث وتحقيق النصوص | مجموعة محاضرات على طلاب الجامعة |
| 1999م. ط.2 | دراسة حول منهج الدعوة | منهج الدعوة عند الإباضية | لهذا الكتاب أكبر عدد من الطبعات (7) |
| 2000م | تحقيق | دراسات عن الإباضية | عمل ثنائي رفقة مصطفى باجو |
| 2005م | دراسة تراجم | معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق) | عمل ثنائي رفقة سلطان بن مبارك الشيباني |

كان الاهتمام في هذه المرحلة بالتاريخ الحضاري للإباضية ، تمثل ذلك في كتابه "منهج الدعوة عند الإباضية"، وكذلك توثيقه لمحاضرات حول المنهجية كان يلقيها في مدرجات الجامعة على طلبة الأدب في جامعة الجزائر ، وعلى طلبة معهد القضاء الشرعي في سلطنة عمان.

وظلّ مُحَّد ناصر وفيا للأعمال المشتركة ؛ إذ قام بتحقيق كتاب "دراسات عن الإباضية" لعمرو خليفة النامي ، رفقة الباحث الجزائري مصطفى باجو ، ومعجم أعلام الاباضية-قسم المشرق ، بمساعدة الباحث العماني سلطان بن مبارك الشيباني.

**المنهج الإسلامي لكتابة التاريخ**

من مظاهر اهتمام مُحَمَّد ناصر بالتاريخ ، حديثه في أكثر من مرّة عن المنهج الإسلامي في كتابة التاريخ ، متأثراً بشيوخه مُحَمَّد علي دبوز وعلي يحي معمر. فقد ألّف حول الأول كتابا عنوانه: "مُحَمَّد علي دبّوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ"[2] وحول الثاني مقالا عنوانه: "الداعية الإسلامي ، المؤرخ الأديب ، علي يحي معمر"[3] وفيه خصّص عنصراً لمنهجه الإسلامي لكتابة التاريخ. وما يميز مُحَمَّد ناصر عن أستاذيه هو تكوينه الجامعي الأكاديمي ، ممّا سمح له بإضفاء لمسة منهجية علمية على أبحاثه التاريخية.

يقوم هذا المنهج على استحضار الأبعاد الأخلاقية والقيمية ، دون إغفال صفات الباحث الجدّي ، "مثل الصبر ، والمثابرة ، والأمانة ، والصدق ، والإخلاص لطلب العلم وحده."[4] ويعترف أن هذا المنهج مختلف عن المناهج الحديثة التي تمتاز بالمنهجية الصارمة ، التي تدعو إلى استبعاد الجانب الأخلاقي عند الباحث ، لكن مُحَمَّد ناصر لا يتفق كثيراً مع هذا الرأي ،[5] بل هو مقتنع أن شخصية المسلم ينبغي أن تتجلّى في كل صغيرة وكبيرة"[6] وأن معظم المغالطات التي يشتكي منها حقل التاريخ سببها انعدام صفات الصدق والأمانة. في حين أنها صفات من صميم الدين الإسلامي ، وهي ممّا ينادي به منظّروا الموضوعية العلمية. لذلك وجدنا أن البعد الإسلامي عند مُحَمَّد ناصر كان حاضراً في عديد أبحاثه[7] منها:

- ما أحوجنا إلى أدب **إسلامي**
- دور الإباضية في نشر **الإسلام** بغرب إفريقيا
- مكانة الإباضية في الحضارة **الإسلامية**
- تراثنا **الإسلامي** والعصر
- خصائص الأدب **الإسلامي**
- الشيخ مُحَمَّد علي دبوز والمنهج **الإسلامي** لكتابة التاريخ
- القيم **الإسلامية** في نظام التعليم بوادي مزاب
- مصادر البحث في العلوم **الإسلامية**
- منهج **الدعوة** عند الإباضية.[8]

**مُحَمَّد ناصر محقّقا**

تجسّد اهتمام مُحَمَّد ناصر بخدمة التراث الإباضي ، عندما أنشأ جمعية التراث ، وفي إطارها حقّق مجموعة من المشاريع التي تهدف إلى إماطة اللثام عن أمهات المصادر الإباضية ، وقد عبّر عن ذلك قائلاً: "وكان الاهتمام بالتراث الفكري الإباضي من أول اهتمامات جمعية

التراث التي وفقنا الله إلى تأسيسها والعمل في إطارها."[9] وسنعرّف هنا بعملين يعتبران من معالم التراث الإباضي الوسيط في مجال التحقيق ، هما:

**كتاب أخبار الائمة الرستميين لابن الصغير (القرن الثالث هجري)، تحقيق وتعليق: الدكتور مُحَمَّد ناصر والأستاذ إبراهيم بحاز، 1986م.**

حقّق مُحَمَّد ناصر رفقة إبراهيم بحاز ، أهم وأقدم مصدر مغربي يؤرخ لتاريخ الدولة الرستمية ، بإمكانيات بسيطة ومجهودات شخصية.[10] ويعتبر هذا الكتاب الذي مرّ على تحقيقه 33 سنة ، مصدراً لا يستغني عنه كل باحث في تاريخ الجماعات الإباضية المغربية ، وما يهمنا هنا هو إبراز دوافع التحقيق.

كان من أهم بواعث التحقيق ، هو ما لاحظه مُحَمَّد ناصر من فراغ في مجال تاريخ المغرب الإسلامي عامة ، وتاريخ اباضية المغرب خاصة ، وتجاهل المؤرخين القدامى لتاريخ الإباضية السياسي.[11] منطلقين من حسابات مذهبية ضيقة ، تتنافى مع قواعد البحث العلمي ، ولم يستطع ابن خلدون نفسه أن يخرج من هذا المأزق ، على الرغم من كثرة تنظيره في صفات الراوي والمؤرخ الحقيقي.[12] وما استفزه أكثر هو تجاهل بعض الأكاديميين الجزائريين ، الذين أرّخوا للثقافة والأدب الجزائري ، لكنهم ضربوا صفحا عن فترة الدولة الرستمية.[13]

لقد جرى تحقيق هذا المخطوط بطريقة غير معتادة منهجيا ؛ إذ تم الاعتماد على نسخة مطبوعة وحيدة ، نشرت ضمن أعمال المستشرقين الرابع عشر ، الذي انعقد في الجزائر سنة 1905م ، أمام غياب النسخ المخطوطة ، التي يرجّح أن المستشرقين قد وضعوا أيديهم عليها. ثم نُشر نفس النص في مجلة العلوم الإنسانية لكلية الآداب بتونس ، سنة 1975-1976م ، وتم العثور على نسخة مطبوعة أخرى ضمن مكتبة الشيخ أبي اليقظان ، كان قد استنسخها بنفسه من مطبوعة أعمال المستشرقين.[14] هذه النسخ الثلاث هي التي اجتهد المحقّقان من خلالها على إخراج أخبار الأئمة الرستميين إلى دائرة الضوء.

لقد طبع الكتاب مرتين ، المرة الأولى نشرته جمعية التراث سنة 1986م ، والثانية نشرته دار الغرب الإسلامي في نفس السنة. وهما الطبعتان الوحيدتان منذ تلك السنة ، فهو إذاً يعتبر من الكنوز المفقودة في سوق الكتب ، وضرورة طبعه مرة أخرى تبدو مسألة ملحّة ، خاصة في حال اكتشاف نسخ مخطوطة.[15]

**القسمة وأصول الأراضين، أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي، تحقيق وتعليق: مُحَمَّد صالح ناصر والشيخ بكير بن مُحَمَّد الشيخ بلحاج، 1992م**

كان مُحَمَّد ناصر حريصا على تحقيق ما هو متميز في التراث الإباضي ، فبعد ابن الصغير الذي يعتبر أقدم مصدر في تاريخ إمامة الرستميين ، بالإضافة إلى خصوصيته من حيث كونه معاصراً لها ، وأنه مخالف لمذهب الرستميين. جاء الدور بعد سبع سنوات على مصدر آخر ، هو القسمة وأصول الأرضين ، وهو من نوع فقه العمارة الإسلامية ، الذي يعتبر

متميزا في بابه ، ليس على مستوى المجال الإباضي فحسب ، بل على مستوى المجال المغربي كله ؛ إذ عبّر المحقّقان عن أصالة المخطوط بالقول: "لم نر في حدود اطلاعنا المتواضع على التراث الفقهي الإسلامي كتابا خاصا بالعمارة الإسلامية يعالج الموضوع معالجة شرعية يعرضها على الحقوق والواجبات التي جاءت بها الشريعة الإسلامية ؛ إذ الموضوع يتعلق بتخطيط المدن ، والمنازل ، وغرس الأشجار والنخيل ، ومد السواقي ، وحفر الآبار ، وقبل هذا وذاك شق الطرق والأزقة ، وحقوق الناس وواجباتهم إزاء كل ذلك من وجهة الشريعة الاسلامية."[16] وقد بدا الباحثان متعجبان من بقاء المخطوط دون تحقيق ، وكان واضحا أن اهتمام الباحث بتحقيق التراث الإباضي كان يتماشى واهتمامات جمعية التراث في دراسة ونشر التراث الإباضي.[17] التي يعتبر الباحث مؤسّسا لها وباحثا فيها ، وقد فضل مرة أخر أن يشرك أحد الباحثين الجادين في إنجاز العمل ، هو الشيخ بلحاج بكير ، الأستاذ بمعهد الحياة بالقرارة.[18]

لقد طبع الكتاب في حدود علمنا طبعتين ، الأولى مكتبة الضامري للنشر والتوزيع بمسقط-سلطنة عمان 1414هـ/1992م ، والثانية من جمعية التراث بالقرارة-الجزائر.

**مُحَمَّد ناصر مؤلفا**

تبدو المرحلة العمانية هي مرحلة التأليف في التاريخ الإباضي ، فقد تجسّد ذلك في تأليف كتابين مهمين ، هما "منهج الدعوة عند الإباضية" سنة 1994م و"معجم أعلام الإباضية" (قسم المشرق) سنة 2005م. ولكل منهما دوافع ودلالات.

**منهج الدعوة عند الإباضية، مُحَمَّد صالح ناصر، جمعية التراث، ط.2، 1999م**

كان لانتقال مُحَمَّد ناصر إلى سلطنة عمان ، وتدريسه في معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد وحدة "منهج الإباضية في الدعوة" الأثر الواضح في الاهتمام بالتاريخ الإباضي والتأليف فيه ، بعد أن خاض تجربة التحقيق في الجزائر. وقد صرّح الدكتور في مقدمة كتابه عن دوافع وأهداف التأليف ، التي يمكن حصرها في التعريف بالبعد الحضاري للتاريخ الإباضي من جهة ، والمساهمة المخلصة في ردم الهوة بين المسلمين وتحقيق ثلاثية المؤرخ الليبي علي يحي معمر "معرفة-تعارف-اعتراف" ومن الواضح أن هذا الكتاب تحديداً يحتل مكانة خاصة عند مؤلفه ؛ إذ يقول: "وأحب أن أذكّر أن هذا الكتاب يدخل ضمن اهتماماتي العقدية والفكرية والعلمية."[19]

قسّم المؤلف كتابه إلى قسمين ، الأول يهتم بالجانب التاريخي ، والثاني يهتم بالجانب الحضاري. وقد وفق الباحث في تقديم صورة شاملة عن الإباضية مشرقا ومغربا ، بأسلوب منهجي علمي ، فكانت البداية مع تحديد مصطلحات: المنهج ، الدعوة ، الإباضية ، الخوارج. وشرحها ، وفي الجانب التاريخي كان التركيز على أدوار الإمامة عند الإباضية (الشراة ، الدفاع ، الكتمان ، الظهور) ، أما في الجانب الحضاري ، فقد ركز المؤلف على دور الإباضية في

نشر الإسلام، وفق مبدأي التسامح والاعتدال، ثم ختم البحث بمجموعة ملاحق تؤكد على البعد الحضاري لمسيرة الإباضية.

ولعل ما يثير الانتباه حول هذا التأليف، هو عدد الطبعات التي حظي بها؛ إذ بلغ سبعة، وهو عدد لم يبلغه —في حدود علمنا-أي من مؤلفاته الأخرى، وهي نتيجة تترجم مكانة الكتاب عند المؤلف.

**معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق)**

توّج مُحَمَّد ناصر إقامته في سلطنة عمان بهذا المؤلف القيّم، وقد خصّصه لتاريخ الإباضية في المشرق، وهو عمل يختلف عن باقي الأعمال السابقة، فليس هو بالتحقيق، ولا بالنقد، إنما هو تراجم لأعلام خدموا المذهب الإباضي طيلة أربعة عشر قرنا، ولنا أن نتصور صعوبة إنجاز عمل كهذا. فمثل هذه الأعمال، لكي يكتب لها النجاح والإتقان يجب أن يساهم فيها مجموعة من الباحثين، خاصة أن الكتاب يضم 1554 علم. وهو عدد أكبر من أن يستوفي حقّه من التنقيب والبحث باحثان، لذلك وجدنا المؤلف الرئيسي مُحَمَّد ناصر ومساعده العماني سلطان بن مبارك الشيباني، يستعينان بمجموعة من الباحثين المقيمين بالسلطنة (11 باحثاً)، كما يفرض هذا النوع من الأعمال الجماعية توفر عنصر اللقاء المستمر بين الباحثين، لكن وأمام صعوبة الالتزام بهذا الشرط كان من الطبيعي أن يستغرق العمل عدّة سنوات.[20]

وفي سياق الحديث عن دوافع إنجاز المعجم، نجد المؤلف وفيًّا لمبادئه المتمثلة في إبراز جانب مضيء من تاريخ الحضارة الإسلامية، وإنصاف التاريخ الإباضي، ويعدّ هذا العمل تكملة ضرورية لمعجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، الذي أنجزته جمعية التراث الجزائرية، والتي يعتبر المؤلف من مؤسّسيها.[21] فتاريخ الإباضية باعتباره جزء من تاريخ الحضارة الإسلامية يمثل شبكة من المبادئ والأفكار منتشرة مشرقا ومغربا، ومسألة ربطها هو أمر طبيعي.

كان المؤلف حريصا كعادته على شرح بعض المصطلحات، التي هي بمثابة الكلمات المفتاحية للعمل، مركزاً على مصطلحي "العَلَم" و"الإباضية". فالأول هو لتحديد المعالم والشروط التي يجب أن تتوفر في الشخصية حتى يصبح علما، وقد حدّدها في الأثر الذي عرف به الشخص وشهرته في مجال من مجالات الحياة الثقافية أو السياسية أو الاقتصادية والاجتماعية، كأن يكون إماماً، أو سلطاناً، أو قاضياً، أو مدرساً، أو شاعراً، أو والياً. أما المصطلح الثاني فقد وجد فيه المؤلفان إشكالية رئيسية تتعلق بمدى التزام العلم بمبادئ المذهب. وللخروج من هذا الإشكال المبني على الأحكام، رجّحا أن يثبتا صفة العلم لكل صاحب أثر، ما لم يتنصّل هو بنفسه علناً من مذهبه. وإن كان المؤلفان قد افترضا أن سلبيات العلم هي من صميم علاقته مع خالقه، إلاّ أن المسالة لا تزال تثير نقاشاً، وفق اعتبارات

مختلفة ، منها ما يحوم حول البعد الأخلاقي والقيمي للعَلَم ، ومنها ما يتعلق بإمكانية التوفيق بين المذهبي والسياسي ، وتباين ولاء العَلَم لهما. ومنها ما تعلق بحدود الابتعاد عن المذهب.[22]

**مُحَمَّد ناصر ناقدا**

مرّ بنا سابقاً أن مُحَمَّد ناصر ساهم في تحقيق كتاب أخبار الأئمة الرستميين سنة 1985م ، وكتاب القسمة وأصول الأرضين سنة 1992م ، لكن القليل من الباحثين من يعرف أن الباحث أنجز دراسة نقدية متميزة سنة 1989م ، حول تحقيق آخر لمصدر اباضي وسيط ، هو كتاب السير الوسياني ،[23] نشر هذا البحث في جريدة الأسبوع الثقافي في مارس 1989م ، ثم أعاد نشره في كتابه أعلام وأقلام الذي صدر سنة 2017م[24] ، وسنعمل من خلال هذا العنصر على وضع هذه الدراسة النقدية ضمن سياق دراسات أخرى حول الموضوع ، باعتبار أن تحقيق السير الإباضية أسال الكثير من الحبر بين الباحثين المختصين ، وتنحصر الإشكالية الرئيسية حول جدلية فك الارتباط بين سير أبي زكرياء وسير الوسياني.

| | سير أبي زكرياء | سير الوسياني |
|---|---|---|
| تاديوسليفتسكي | يوجد في كتابين | مجموعة من 3كتب ، الأول للوسياني ، الثاني لأحد تلامذته ، الثالث مستقل يحتمل أنه الجزء الثاني لأبي زكرياء |
| عمرو النامي | رجّح أنه يوجد في جزأين | |
| إسماعيل العربي | يوجد منه كتاب واحد ، حققه في 3طبعات | يوجد منه كتابين ، لكنه حقق واحد وترك الآخر! |
| عبد الرحمان أيوب | يوجد منه كتابين ، حققهما | |
| مُحَمَّد ناصر | يوجد مه كتابين | يوجد منه كتابين |
| عمر بوعصبانة | الرأي 1(1991م): يوجد منه جزأين. الرأي 2(2009م): يوجد منه جزء | حقّقه في 3 أجزاء ، لكن الجزء الثالث لمجهول! |

| | | |
|---|---|---|
| علاوة عمارة | | له كتابين اعتباراً، والثالث ربما هو لأبي العباس الفرسطائي |
| يحي بوراس | يوجد منه جزأين | يوجد منه جزأين |

**هل هو كتاب "سير مشايخ المغرب للوسياني" حقاً؟ تأليف الأستاذ: إسماعيل العربي**

بدأ مُحَمَّد ناصر بالإشارة إلى تحقيق إسماعيل العربي لكتاب أبي زكرياء بطبعاته الثلاثة، وقد عزم باحثنا على التعريف بالكتاب، ومناقشة ما جاء فيه من أخطاء في مناسبة أخرى[25]؛ لكن ذلك لم يتحقق في حدود علمنا.

ملخص الدراسة النقدية، تتمثل في تقديم حجج علمية يثبت من خلالها أن المخطوط الذي حققه إسماعيل العربي معتقدا أنه للوسياني، هو في حقيقته يعتبر الجزء الثاني من كتاب سير الأئمة لأبي زكرياء الوارجلاني.

كتب إسماعيل العربي في مقدمة كتابه "سير الوسياني"، أنه قرأ بأن الكتاب الذي حقّقه هو الجزء الثاني لكتاب سير أبي زكرياء، وقال أن ذلك كذب وافتراء؛ بل هو كتاب الوسياني. فعلى أي أساس رجّح رأيا على آخر، وبدا إسماعيل العربي مصراً على رأيه رغم سماعه بوجود جزأين لسير أبي زكرياء، وثلاثة أجزاء لسير الوسياني. وقد رجّح مُحَمَّد ناصر أن إصرار المحقق على رأيه له ما يبرره نفسيا وليس علميا، بمعنى أنه لم يملك القدرة على التراجع عن تحقيق أبي زكرياء الذي طبعه ثلاثة مرات، وقد اشتهر في أوساط القراء بجزء واحد.[26]

ومن بين القرائن التي اعتمدها مُحَمَّد ناصر في القول أن سير الوسياني الذي حققه إسماعيل العربي، هو الجزء الثاني لأبي زكرياء، ما أشار إليه الدرجيني في طبقاته والبرادي في جواهره، وليفتسكي في إحدى دراساته[27]. كما قدم إسماعيل العربي في مقدمة تحقيقه راي المستشرق تاديوس ليفتسكي حول سير الوسياني، وهي أنها مجموعة تتكون من ثلاثة أجزاء، لكنها تبدو أجزاء منفصلة عن بعضها البعض من حيث المحتوى والأسلوب، فأثبت الكتاب الأول فقط للوسياني والثاني لأحد تلاميذ الوسياني، في حين اعتبر الكتاب الثالث منفصلا، ورجّح أنه الجزء الثاني من سير أبي زكرياء.[28]

وانتقد مُحَمَّد ناصر صاحب التحقيق، عندما سمح لنفسه دون مبرر علمي مقنع إلى الانصراف عن تحقيق الجزء الأول، والاكتفاء بالجزء الثاني، بحجة أن محتوى الأول يختلف كليا عن محتوى الجزء الثاني! لقد أوقع المحقق نفسه في ورطة علمية، فقد حقّق جزء وترك جزء وهي سابقة في شروط التحقيق العلمي، ثم هو يقدم مبررا عن الاختلاف بينهما. فلماذا لم

يضع احتمالا إذاً أن الذي ألّف الكتاب الأول ليس هو الذي ألّف الكتاب الثاني؟ وهذا ما يميل إليه الناقد.[29]

**سير الوسياني، تحقيق: عمر بن لقمان بوعصبانة**

في سنة 2009م طبع كتاب سير الوسياني، من تحقيق الباحث عمر بن لقمان بوعصبانة، والعمل في الأصل عبارة عن أطروحة دكتوراه ناقشها الباحث في جامعة قسنطينة 2006/2005م، وبين تحقيق إسماعيل العربي وتحقيق عمر بوعصبانة عشرون سنة أو تزيد. وقد ظهر التحقيق الأخير مختلفا جذريا عن التحقيق الأول شكلا ومضمونا، وليس المجال للتفصيل والتدقيق، إنما هو لوضع هذه الدراسة في سياق الدراسة النقدية التي نشرها مُحَمَّد ناصر سنة 1989م.

ما لاحظناه على دراسة بوعصبانة، هو وجود رأيين مختلفين له في نسبة كتب السير، بين أبي زكرياء والوسياني. ففي ص.39، ج.1، كتب ما يلي: "لقد حقق إسماعيل العربي كتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكرياء، الجزء الثاني تحت عنوان: سير الوسياني."[30] وقد تبين أن هذا الموقف قد اتخذه المحقق بعد صدور تحقيق إسماعيل العربي مباشرة، وأنه كتب دراسة نقدية في الموضوع تحت عنوان: "كتاب السير للوارجلاني أم للوسياني"[31] نشره لاحقاً في جريدة الواحة، عدد15، 1412هـ/1991م. لكن يبدو أن بوعصبانة، وبعد عملية التحقيق، توصل إلى نتائج أخرى يمكن تلخيصها فيما يلي:

-معظم مجموعات الوسياني المخطوطة الموجودة في الخزائن تحتوي على ثلاثة كتب

-العديد من المختصين وعلى رأسهم ليفتسكي والنامي يرجحون أن سير أبي زكرياء يحتوي على جزأين

-الكتاب الأول من المجموعة ثابت نسبته للوسياني، ولا إشكال في ذلك، وهو الجزء الذي غفل عنه إسماعيل العربي ولم يحققه

-الكتاب الثاني من المجموعة لم يكتبه الوسياني، لكن معظم مروياته عنه، ويرجح أن يكون أحد تلامذته قد رواها عنه، فلا حرج من نسبتها للوسياني.

-الكتاب الثالث من المجموعة مستقل عن الكتابين السابقين، وزمنه سابق لزمن الوسياني، ورجّح المحقق بعد نقد، أنه لمجهول من قنطرار قد يكون من تلاميذ أبي زكرياء صاحب السير.[32] لكن الملفت حقا أن بوعصبانة حقق الكتب الثلاثة، وطبعها في كتاب تحت عنوان:

سير الوسياني! فلماذا لم يبين على الأقل في غلاف الطبعة أن التحقيق يتعلق بكتابين للوسياني ، ويليه كتاب ثالث لمجهول ، كعادة بعض أعمال التحقيق.

الكتاب الثالث هو الذي وقع عليه الجدل ، فقد حقّقه إسماعيل العربي ونسبه للوسياني ، معتبرا أنه الجزء الثاني ، وحققه الباحث التونسي عبد الرحمن أيوب ونسبه لأبي زكرياء ، معتبراً أنه الجزء الثاني ، وهو ما ذهب إليه كل من ليفتسكي ، النامي ، مُحَمَّد ناصر ، يحي بوراس ، وهذا الشكل يوضّح نوع الالتباس:

**هل هو كتاب السير للوسياني ؟**

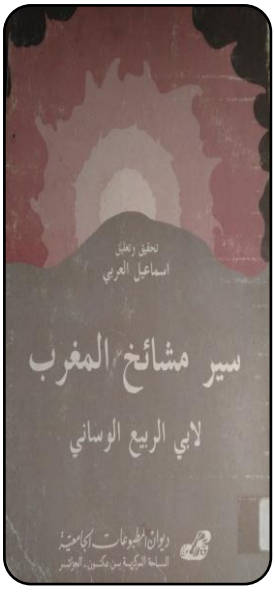


**نسبه للوسياني** واعتبره الجزء الثاني وحققه لوحده

**نسبه لأبي زكرياء** واعتبره الجزء الثاني وحقق الجزأين معا

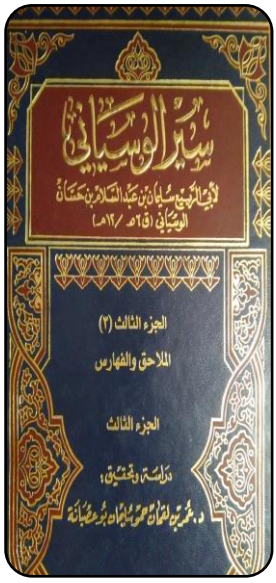


**نسبه لمجهول من قنطرار** ، وحققه تحت عنوان سير الوسياني

ختاما ، يتبيّن أن الكتاب الذي حققه إسماعيل العربي ونسبه للوسياني ، وحققه عبد الرحمن أيوب ونسبه لأبي زكرياء ، وحققه عمر لقمان بوعصبانة ونسبه لمجهول ، ثم عاد وأدرجه تحت عنوان: سير الوسياني ! هو في نظر أغلب الدارسين المتخصصين (ليفتسكي ، النامي ، مُحَمَّد ناصر ، يحي بوراس)، يمثل الجزء الثاني من سير الأئمة لأبي زكرياء ، لكن المفارقة أن تحقيق عبد الرحمان أيوب الذي يستجيب للرأي الغالب ، هو أقل التحقيقات انتشاراً مقارنة بتحقيقات إسماعيل العربي الثلاثة ، وتحقيق بوعصبانة.

**خاتمة**

إن الجوانب الإبداعية في شخصية مُحَمَّد ناصر متعددة ، ومسيرته في توثيق التاريخ الإباضي خلال العصر الوسيط ، لا تمثل جميع اهتماماته التاريخية ، فإنه يوجد جانب لا يقل أهمية ، يتعلق بتوثيق تاريخ الصحافة الوطنية في فترة الاحتلال الفرنسي والحركة الإصلاحية في منطقة مْزاب ، من خلال أعلامها وروادها ، أسهم فيه مؤرخنا بنصيب وافر ، من بينها شخصية الشيخ بيوض في كتاب «أعمالي في الثورة" ، والشيخ إبراهيم اطفيش في كتاب «الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي" ، والشيخ أبو اليقظان في كتاب "أبو اليقظان وجهاد الكلمة". وهي تمثل أبحاثا تاريخية بامتياز ، يمتزج فيها ويتداخل الديني بالأدبي مع التاريخي. ونرى أنها تستحق أن ينظر إليها الباحثون بعين الوصف والتحليل والنقد.

**قائمة المصادر والمراجع**


1. ابن الصغير (القرن الثالث هجري)، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق وتعليق: مُحَمَّد ناصر وإبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان ، 1406هـ/1986م ،
2. الفرسطائي. أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن بكر ، القسمة وأصول الأراضين-كتاب في فقه العمارة الإسلامية ، تحقيق وتعليق: مُحَمَّد صالح ناصر والشيخ بكير بن مُحَمَّد الشيخ بلحاج ، مكتبة الضامري ، سلطنة عمان ، 1414هـ/1992م ،
3. المدني. أحمد توفيق ، مدخل لدراسة الدولة الرستمية وإسهامها في التطور الفكري والحضاري ، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي ، منشورات وزارة الشؤون الدينية ، وارجلان-الجزائر ، صفر 1397هـ/ فبراير 1977م.
4. ناصر. مُحَمَّد صالح ، أعلام وأقلام ، جمعية التراث ، القرارة-غرداية-الجزائر ، 1438هـ/2017م.
5. مُحَمَّد ناصر وسلطان بن مبارك الشيباني ، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق)، دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان ، ط.1 ، 1427هـ/2006م.
6. ـــــــ، كيف تكتب بحثا جامعيا ، كلية المنار للدراسات الإسلامية ، الحميز-الجزائر ، ط.5، 1425هـ/2005م
7. ـــــــ،"مُحَمَّد علي دبّوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ" ، ضمن سلسلة تاريخ الجزائر وأعلامها في أعمال الدكتور مُحَمَّد ناصر ، القسم الثالث ، شخصيات جزائرية ، المجلّد الثاني ، عالم المعرفة ، الجزائر ، طبعة خاصة ، 2015م ، ص.27-109

8. ـــــــ، منهج الدعوة عند الإباضية ، جمعية التراث ، القرارة-غرداية-الجزائر ، ط.2 ، 1419ه/1999م
9. الوسياني. أبو الربيع ، سير مشايخ المغرب ، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1985م.
10. الوسياني. أبو الربيع سليمان بن عبد السلام (ق.6ه/12م) ، سير الوسياني ، ج.1 ، دراسة وتحقيق: عمر بن لقمان بوعصبانة ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط-سلطنة عمان ، ط.1 ، 1430ه/2009م
11. لقاء مع مُحَمَّد صالح ناصر في منزله بالأبيار-الجزائر ، يوم السبت 20 أكتوبر 2018م

**هوامش البحث:**

1- ناصر مُحَمَّد ، **أعلام وأقلام** ، ص.548.

2-مُحَمَّد ناصر ، "مُحَمَّد علي دبّوز والمنهج الإسلامي لكتابة التاريخ" ، ضمن سلسلة تاريخ الجزائر وأعلامها في أعمال الدكتور مُحَمَّد ناصر ، القسم الثالث ، شخصيات جزائرية ، المجلّد الثاني ، عالم المعرفة ، الجزائر ، طبعة خاصة ، 2015م ، ص.27-109

3-مُحَمَّد ناصر ، اعلام وأقلام ، ص.263-272.

4- مُحَمَّد صالح ناصر ، كيف تكتب بحثا جامعيا ، كلية المنار للدراسات الإسلامية ، الحميز-الجزائر ، ط.5، 1425ه/2005م ، ص.4

5-لا يفهم من هذا أن مُحَمَّد ناصر يرفض المنهجية العلمية الحديثة ، بل هي من أهم ما ورثه من مشرفه ، فيقول: تعلمت واستفدت من شيخي شكري فيصل أن الصفة الأكاديمية أخلاق تاجها التواضع ، وأن البحث أمانة سرّها الإخلاص ، **وأن المنهجية نظام دقيق تتعامل بها مع نفسك ومع الآخرين**." أنظر: مُحَمَّد ناصر ، مشايخي كما عرفتهم ، ص.522.

6-لقاء مع مُحَمَّد صالح ناصر في منزله بالأبيار ، الجزائر ، يوم السبت 20 أكتوبر 2018م (من الساعة 9 إلى الساعة 12:30)

7- إن المنهج الديني والأخلاقي الذي يحتكم إليه مُحَمَّد ناصر طيلة مسيرته العلمية هي في قوله: "**إن الشأن ليس في كثرة العلم، وإنما الشأن في التوفيق الذي يصحب العلم، ولا يكون التوفيق إلا لمن جعل تقوى الله زاده في سرّه وعلانيته.**" لقاء مع مُحَمَّد ناصر ، الابيار ، السبت 20 أكتوبر 2018

8- مُحَمَّد ناصر ، كيف تكتب بحثا جامعيا ، ص.76-77.

9- أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد بن بكر الفرسطائي ، القسمة وأصول الأراضين- كتاب في فقه العمارة الإسلامية ، تحقيق وتعليق: مُحَمَّد صالح ناصر والشيخ بكير بن مُحَمَّد الشيخ بلحاج ، مكتبة الضامري ، سلطنة عمان ، 1414ه/1992م ، ص.5.

10-سعى مُحَمَّد ناصر إلى طبع الكتاب عند الأستاذ بابا عمي عبد العزيز بن حاج مُحَمَّد ، في مطبعتهم بحي بلكور في العاصمة.

11- مُحَمَّد صالح ناصر ، أعلام وأقلام ، جمعية التراث ، القرارة- غرداية- الجزائر ، 1438ه/2017م ، ص.122.

12- يقول أحمد توفيق المدني معلقا على ابن خلدون: "...لا نراه يعني بدولة الرستميين الاباضية إلا قليلا ، وفي صفحات متباعدة يسيرة ، ويدعو مذهبها بدعة." أنظر: مدخل لدراسة الدولة الرستمية وإسهامها في التطور الفكري والحضاري ، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي ، منشورات وزارة الشؤون الدينية ، وارجلان-الجزائر ، صفر 1397ه/ فبراير 1977م ، ص.284-285.

13- ابن الصغير ، (القرن الثالث هجري) ، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق وتعليق: مُحَمَّد ناصر وإبراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان ، 1406ه/1986م ، ص.6-7.

14- ابن الصغير ، نفس المصدر ، ص.7-10

15-يعكف الباحث إبراهيم بحاز على إعادة تحقيق أخبار الأئمة الرستميين ، بعد اكتشافه لأربع نسخ مخطوطة ، لم يتم اعتمادها من قبل

16- الفرسطائي ، مصدر سابق ، ص.6-7.

17- الفرسطائي ، مصدر سابق ، ص.5.

18- أنظر: الفرسطائي ، نفس المصدر ، مقدمة التحقيق ، ص.5-16 ، مُحَمَّد ناصر ، أعلام وأقلام ، ص.234-262.

19- مُحَمَّد ناصر ، منهج الدعوة عند الاباضية ، جمعية التراث ، القرارة-غرداية-الجزائر ، ط.2 ، 1419ه/1999م ، ص.6.

20- مُحَمَّد ناصر وسلطان بن مبارك الشيباني ، **معجم أعلام الاباضية (قسم المشرق)**، دار الغرب الإسلامي ، بيروت-لبنان ، ط.1 ، 1427هـ/2006م ، ص.5-15.

21- مُحَمَّد ناصر ، أعلام وأقلام ، ص.496.

22- هذه الاعتبارات واعتبارات أخرى ، يفرضها واقع المسلمين عامة ، وما الاباضية إلاّ نموذج.

23-الوسياني. أبو الربيع ، **سير مشايخ المغرب** ، تحقيق وتعليق : إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1985م.

24- مُحَمَّد ناصر ، **أعلام وأقلام، هل هو كتاب "سير مشايخ المغرب للوسياني" حقاً ؟ تأليف الأستاذ: إسماعيل العربي** ، جريدة الشعب الثقافي ، الجزائر ، الجزائر مارس 1989م ، ص.(77-93)

25- مُحَمَّد ناصر ، **أعلام وأقلام** ، ص.77.

26-مُحَمَّد ناصر ، **نفسه** ، ص.83.

27- مُحَمَّد ناصر ، نفسه ، ص.84.

28- الوسياني ، سير مشايخ المغرب ، ص.8.

29-لقد بدا لي إسماعيل العربي متهكما ، وهو يبرر انصرافه عن الجزء الأول: "...جعلتني أحجم عن تحقيقه ، تاركا فرصة هذا العمل لمن له اهتمام وتضلع أكثر مني بالفقه والقصص الدينية الاباضية." الوسياني ، سير مشايخ المغرب ، مقدمة التحقيق ، ص.7. مُحَمَّد ناصر ، أعلام وأقلام ، ص.87-88.

30- الوسياني. أبو الربيع سليمان بن عبد السلام (ق.6هـ/12م)، سير الوسياني ، ج.1 ، دراسة وتحقيق: عمر بن لقمان بوعصبانة ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط-سلطنة عمان ، ط.1 ، 1430هـ/2009م ، ص.39.

31-للأسف لم نطلع على هذا العمل بعد.

32-الوسياني ، تحقيق: بوعصبانة ، ج.1 ، ص.147.